الأمن العربي مطلب أكثر إلحاحاً

كلمة رئيس التحرير

وقع اختيار هيئة التحرير أن يخصص هذا العدد لأبحاث الكتّاب والباحثين العرب، وفي معرض البحث عن الكلمة الافتتاحية وجدت الأفكار تأخذني نحو ما يؤرق المنطقة العربية التي تعيش أياماً حزينة، فالوطن العربي يحتلّ موقعاً جغرافياً فريداً إذ يربط القارات الثلاث: آسيا وأفريقيا واوروبا ويمتلك ثروات هائلة وشعوبه في دائمة في انتقالها إلى القارات الأخرى ما جعل له تأثير في تكوين حضارات دولٍ عديدة.

كل ذلك جعل من العالم العربي الكتلة الاستراتيجية الحيوية، التي يمكن ان تكون ذات ثقل في السياستين العالمية والاقليمية، وهو قلب الارض الذي يقع في مكان متوسط بالنسبة لأي مواجهة عالمية محتملة، وهو المتحكم في طرق نقل الطاقة سواء إلى الشرق الاقصى، أو إلى اوروبا والولايات المتحدة الأميركية، ويمتاز الوطن العربي بطول شواطئه التي تبلغ 16480 كلم ويتحكّم بثلاث مضائق، مضيق قناة السويس، مضيق باب المندب، مضيق هرمز، ويمكن ان نضيف اليها مضيق جبل طارق.

هذه الاهمية الجغرافية التي تعتبر العامل الاساسي لنجاح التجارة العالمية، وامتلاكه ثروة نفطية هائلة اضافة للموارد الطبيعية الاخرى، كالاراضي الزراعية الخصبة والمعالم السياحية، كلها عوامل لم تنجح في تحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة، بل على العكس لقد أشعلت المنطقة العربية بحروبٍ مدمّرة تهدد امن ليس فقط الدول التي تقع على أراضيها الأحداث، بل أضرّت هذه الحروب بكافة الأقطار العربية بلا استثناء، حتى بدأ الوهن يدّب في هذه الدول التي خسرت الملايين من أبنائها قتلى الحروب، وخسرت أضعافهم بفعل الهجرة، وشارفت ثرواتها على الزوال، وهذا ما يطرح التساؤل حول أسباب غياب مفهوم للأمن القوني العربي؟

حيث يواجه مفهوم الامن القومي العربي التباساً في تعريفه وتحديد جوانبه، ومقوماته ومصدر هذا الالتباس، طبيعة الرابطة القومية التي تجمع الدول العربية، ويتجسد ذلك التناقض في امة تعتقد انها امة واحدة، وهي في الوقت، مجزأة إلى كيانات سياسية مستقلة 22 دولة عربية بل إن الحروب الحالية قد تؤدي إلى زيادة التقسيم حيث لا يوجد أدنى مؤشر إلى توحّد دولتين أو أكثر وعلى العكس فإن أدلة قوية حول نوايا تقسيم وتجزئة إضافية للمنطقة العربية.

وكان السبب في الانشقاق والانقسام بين الدول العربية هو غلبة الروح القطرية وتغليب المنطق القطري، حيث سعت كل دولة إلى البحث عن مصالحها الذاتية في مقابل تقزيم المنطق القومي والمصالح القومية. فلم تسهم العوامل الاجتماعية (وحدة اللغة والثقافة والحضارة والدين) والاقتصادية (الثروة النفطية، والموارد الطبيعية والمساحات الزراعية والقدرة السياحية) والعسكرية (الطاقة البشرية، الترسانة الهائلة من الاسلحة)، في خلق نظام عربي قادر على حفظ الامن القومي للدول العربية، ومرد ذلك بصورة اساسية:

1. الصراعات العربية الداخلية: حيث برزت بقوّة مقولة جادة تنكر ان نظاماً عربياً قد وجد اصلاً في أي وقت من الاوقات، وذلك بفعل الحروب والأزمات الأمنية والسياسية المتتالية والتي هي في أشدّها اليوم ولم تفلح جامعة الدول العربية ولا يوجد زعامة عربية قادرة على إنهاء هذه الصراعات التي يقف المجتمع الدولي إزاءها موقف المتفرج بل والمحرّض على استمرارها..
2. انشغلت كل دولة عربية بأزماتها الداخلية ما خلق القطرية العربية بحيث انغلقت كل دولة ضمن حدودهت وانشغلت بأمنها الداخلي وتلهت عنه عن أي أمن خارجي وإن كان يمسّ دول شقيقة.

لقد دفعت هذه المعطيات إلى التساؤل هل نحن امة؟؟ أم أن العالم العربي لا يعدو ان يكون منطقة جغرافية؟ ام هو تجمع حضاري له منزلة تاريخية وله دور في صياغة التوازنات الدولية سياسياً وثقافياً وحضارياً؟؟ واذا كنا نفخر بتلك الروابط التي نكثر من التغني بها، فلماذا لا تتصرف شعوبنا ودولنا بمقتضاها؟؟

وكما يقول الراحل د. محمد المجذوب ان الدول العربية استقلت ولكن ليس في دولة عربية واحدة، بل في دول متعددة. كل دولة منها لها كيان تحافظ عليه واستقلال تتمسك به، وثروة طبيعية لا ترضى ان يشاركها فيها الغير، ثم ملك او امير لا يتنازل عن عرشه لأحد.

لقد حاول كتاب عرب البحث عن مفهوم للأمن القومي العربي، محاولين بذلك هزّ المجتمعات والسياسات العربية لعلّها تخرج من عزلتها وتقوقعها وتنهض متآلفة موحدة على الأقل حول تحقيق الاستقرار والأمن في المنطقة. لكن عند صياغة فكرة الامن القومي العربي ادى الافراط في طرح المثاليات عن الوحدة والتوحد، الامة الواحدة، والقومية العربية الواحدة… إلى رد فعل عكسي من الدول الاعضاء، اذ سعت الدول العربية إلى تقليص دور المؤسسة القومية (الجامعة العربية)، وترسيخ مفهوم السيادة القطرية، حتى وصلنا إلى غياب أي دور لهذه الجامعة وأن بقاءها اليوم لا يتعدى الاجتماعات الدورية دون أي مقررات فاعلة ونافذة.

فنحن اليوم ومنذ نشوء الجامعة، لا نزال نواجه انواعاً متتابعة من المخاطر والتهديدات للأمن لعربي برمته بل ولوجود المنطقة العربية بذاتها التي في حال اشتدت الأزمات قد نصل إلى مرحلة زوال مصطلح المنطقة العربية والدول العربية ليحلّ مكانها رسمياً المنطقة الشرق أوسطية، هي إذٍ أزمة وجود يخوضها العالم العربي، هي أزمة وليس في الافق المنظور ما يشير الى انتهائها بخسائر قليلة.

لهذا استغل مناسبة الترحيب بالكتّاب العرب لأعيد التذكير بمقاطع من كلمة فخامة رئيس الجمهورية العماد ميشال عون في القمة العربية المنعقدة بتاريخ 29/3/2017 حيث قال فخامته: "لم آتِ إلى هنا ناصحاً ولا مرشداً، إنما جئت متسائلاً، فربّما نجد في وجداننا الإجابات اللازمة. لذا، سأدع وجداني يخاطب وجدانكم، لعلنا نستفيق من كابوس يقضّ مضاجعنا. إن أصوات الانفجارات ومشاهد القتل تطغى على أي موضوع آخر. لذلك لم أستطع أن أنزع من مخيلتي الغيمة السوداء التي تخيّم على أجوائنا العربية، ولا اللقاءات السابقة التي كانت في كل مرة دون مقررات عملية تزيد خيباتنا خيبةً، وطعم المرارة فينا يزداد مرارةً، حروب، مجازر، دمار، قتلى، جرحى، أوجاع وأنين.

من ربح الحرب؟ من خسر الحرب؟ الجميع خاسرون، الجميع قتلى، الجميع جرحى، الجميع متألّمون، الجميع جياع يتسوّلون لقمة العيش، من أجل من نتقاتل، ومن أجل ماذا نقتل بعضنا البعض؟

أمن أجل تحرير القدس والأراضي العربية المحتلّة؟ أم من أجل الوطن الفلسطيني الموعود وإعادة اللاجئين؟ وهل في هذه الحروب انتصارات وعلى من؟  وفي أي صفحة من صفحات تاريخنا سنسجّل الانتصارات؟ وهل بقيت لنا صفحات بيضاء نكتب عليها، بعدما امتلأت بأسماء ضحايانا واصطبغت بدمائهم؟ ماذا نقول لأهلٍ فقدوا اطفالهم، وماذا سنقول لأطفالٍ خسروا اهلهم؟ وهل سيكون لدينا شيء نقوله لهم؟ هل نحدّثهم عن حاضر يُدمّر أم عن مستقبل يحترق؟

إنّ العاصفة التي ضربت منطقتنا أصابت جميع أوطاننا، منها من تضرّر مباشرة، ومنها من حمل عبء النتائج، ومنها من يقف مترقّباً بحذر وقلق خوفاً من وصول شراراتها اليه. وقد طالت شظاياها جامعة الدول العربية، لا بل ضربتها في الصميم، فشلّت قدراتها وجعلتها تقف عاجزة عن إيجاد الحلول.

لذلك، يمكن القول، وبكلّ ثقة، إنّنا جميعنا معنيون بما يحصل، ولا يمكن أن نبقى بانتظار الحلول تأتينا من الخارج.

إنّ بيانات الاستنكار والإدانة لم تعد كافية، فالجامعة العربية، وهي المؤسسة الجامعة للعرب، وانطلاقاً من مبادئ وأهداف وروحية ميثاقها، وحفاظاً على الدول الاعضاء فيها، وإنقاذاً لإنسانها وسيادتها واستقلالها وثرواتها، عليها أن تستعيد دورها ومهمتها ودورها الملحّ اليوم هو في اتخاذ زمام مبادرةٍ فعّالة تستطيع أن تؤثر في مجرى الأحداث، وتوقف حمّامات الدم، وتطفئ النار المستعرة،  دورها اليوم في إعادة لمّ الشمل العربي، وإيجاد الحلول العادلة في الدول الملتهبة،  لتحصين الوطن العربي في مواجهة تحدّيات المرحلة ومخاطرها. وإنّ خطورة المرحلة تحتّم علينا، أن نقرّر اليوم وقف الحروب بين الإخوة، بجميع أشكالها، العسكرية والمادية والإعلامية والدبلوماسية، والجلوس إلى طاولة الحوار، لتحديد المصالح الحيوية المشروعة لكلّ فريق، واحترامها، وإلاّ ذهبنا جميعاً عمولة حلّ لم يعد بعيداً، سيفرض علينا، اللهم إشهد إني بلّغت.

وإني بدوري وإذ أرحب بالكتاب العرب وأعلن أن المجلة مفتوحة لهم، وآمل منهم بكتابات تسهم ليس في تحقيق الوحدة العربية التي أصبحت مستحيلة، ولا في الأمن القومي العربي الموحد الذي لا يعدو كونه حلماً، وإنما أرغب بدراسات الحدّ الأدنى، دراسات تسهم في تقليص النزاعات بين الدول العربية وتحقق الأمن والاستقرار للشعوب.